سورة المجادلة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَـٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿١﴾ ﴾

تُجَادِلُكَ: تحاورك وتراجعك الكلام.

تَحَاوُرَكُمَا: مراجعتكما القول.

كان من عادة العرب في الجاهلية أن الرجل إذا قال لزوجته : "أنت علي كظهر أمي"، حُرمت عليه إلى الأبد ، وكان ذلك يُسمى ظهاراً ، وقد حدث ذات مرة أن قال أحد المسلمين في المدينة ، وهو أوْس بن الصامت ، لامرأته خولة بنت ثعلبة الأنصارية هذا الكلام ، فتوجهت إلى رسول الله ﷺ تحكي عليه ما جرى بينها وبين زوجها ، فأجابها – عليه الصلاة والسلام – قائلاً : "ما أراك إلا قد حُرمت عليه" مما جعل خولة تحزن وتقلق على مستقبلها هي وأولادها الصغار ، وما قد يتعرضون له من الضياع والتشرد ، فأخذت في البكاء والعويل ، فنزلت هذه الآية وما يليها تبياناً للحكم الإسلامي فيما يتعلق بقضية الظهار .

﴿ ٱلَّذِينَ يُظَـٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَـٰتِهِمْ ۖ إِنْ أُمَّهَـٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّـٰٓـِٔى وَلَدْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ يُظَـٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا۟ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۚ ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣﴾ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ

مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۖ فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ۚ ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۗ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤﴾

يُظَاهِرُونَ: يحرمون نساءهم تحريم أمهاتهم.

مُنكَراً مِّنَ القَوْلِ: فظيعا منه ينكره الشرع والعقل.

وَزُوراً: كذبا باطلاً منحرفاً عن الحق.

يَتَمَاسَّا: يستمتعا بالوقاع، أو دواعيه.

الإسلام يفرق بين الجوهر والمظهر أو بين الصورة والحقيقة، ومن ثم رفض الإسلام الإقرار بهذه العادة المتبعة من قديم الزمان التي تجعل المرأة كالأم الحقيقية تماماً فور مناداة زوجها إياها بلفظ الأم !! ، وإذا كان كلام كهذا لغواً من القول وزوراً ، فإنه ليس من شأنه البتة أن يغير قوانين الفطرة .

وقد بين القرآن الكريم أن المرأة لا يقع عليها الطلاق عقب ظهار زوجها منها حسب الطريقة المألوفة، إلا أنه ألزم الزوج المظاهر بأداء الكفارة قبل أن يستمتع بزوجته مرة أخرى، وحين يؤدي المرء الكفارة على هذا النحو ، إثر وقوعه في خطأ ما ، فإنما هو يبعث يقينه من جديد ، ويعمل على تقوية وترسيخ عقيدته في ذلك المبدأ الذي كان قد تخلى عنه بسبب الغفلة أو الحماقة !

إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ وَقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا ۚ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٦﴾

يُحَادُّونَ: يعادون ويشاقون ويخالفون.

كُبِتُوا: أذلوا، أو أُهلكوا، أو لعنوا.

أَحْصَاهُ الله: أحاط به علماً.

إن مخالفة الحق مخالفة لله، ومخالفة الله إنما يجني المرء بمخالفته إياه على نفسه هو ليس غير، وإن المرء لا يستطيع أن يخفي شيئاً مما يعمله سراً أو جهراً عن الله، وليس في مقدوره أن ينقذ نفسه من مؤاخذة الله - عز وجل!!

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَـٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُوا۟ عَنِ ٱلنَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَيَتَنَـٰجَوْنَ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ وَيَقُولُونَ فِىٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ ۚ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا ۖ فَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٨﴾ ﴾

نَّجْوَى ثَلاثَةٍ: تناجيهم ومسارتهم.

هُوَ رَابِعُهُمْ: بعلمه حيث يطلع على نجواهم.

هُوَ مَعَهُمْ: بعلمه المحيط بكل شيء.

لَوْلا يُعَذِّبُنَا: هلا يعذبنا.

حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ: كافيهم جهنم.

يَصْلَوْنَهَا: يدخلونها أو يقاسون حرها.

كان بعض اليهود والمنافقين إذا جاؤوا إلى رسول الله ﷺ حيّوه قائلين: السّام عليك،

بدلاً من السلام عليك ، ولقد كان هذا - ولا يزال - دين السطحيين من البشر دائماً ، وقد يشعر ذوو الأذواق السطحية كهؤلاء بموجةٍ من الفرح تغمرهم إذا هم نجحوا في النيل من عرض إنسان صادقٍ أو الحطّ من قدره ، ويغيب عن بالهم أن مظاهر الألوهية المنبثة في أرجاء الوجود تكون شاهدةً بعلو مكانة الإنسان الصادق حتى في الوقت الذي يكونون هم قد استعملوا آخر ما في عقولهم الضيقة المحدودة من كلمات التحقير والإهانة !!

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَنَٰجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَٰجَوْاْ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَتَنَٰجَوْاْ بِٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ۝ إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝ ﴾

إِنَّمَا النَّجْوَى: المنهي عنها.

لِيَحْزُنَ: ليوقع في الهم الشديد.

إن المناجاة أي إفضاء بذات نفسه سراً مما لا يُستحسن في الأحوال العادية ، ولكن ربما تدعو الحاجة في بعض الأحايين إلى المناجاة والمحادثات السرية لبعض الأغراض النبيلة كذلك ، ومدار الأمر في هذا الصدد على نية المتناجين ، فإن كان التناجي بنية حسنةٍ فلا بأس به ، وأما إنْ كان بنية سيئةٍ فلا يجوز .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُواْ فِى ٱلْمَجَٰلِسِ فَٱفْسَحُواْ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝ ﴾

تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ: توسعوا فيها ولا تضاموا.

انشُزُوا: انهضوا للتوسعة أو لعبادة أو خير.

ربما يحدث ، بمقتضى أدب المجالس ، أن يُطالب شخص بالتأخر عن مكانه ليجلس فيه غيره ، كما يحدث في بعض الأحيان أن يقال للحاضرين ، على خلاف رغبتهم في مواصلة الحديث واستمرار الجلسة : "ارجعوا الآن" !! إن اتخاذ أمورٍ كهذه مسألة كرامةٍ دليل على تدني المستوى الشعوري ، وأما الذي لا يتخذ منها مسألة كرامة فقد برهن على كونه بالغاً أعلى مستويات الشعور!!

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةً ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِن لَّمْ تَجِدُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَٰتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُواْ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾ ﴾

أَأَشْفَقْتُمْ: أخفتم الفقر والعيلة.

وَتَابَ الله عَلَيْكُمْ: خفف عنكم بنسخ حكمها.

شاءت إرادة الله سبحانه ألا يلقى الرسول إلا من يرغب في لقائه لأي غرضٍ جادٍ في واقع الأمر ، وأن يُفرز من بينهم الفضوليون الذين إنما يتسببون في إضاعة الوقت من غير جدوى بثرثراتهم وأحاديثهم الفارغة ، ومن ثم فُرض على كل راغبٍ في لقاء الرسول والتناجي معه أن يتصدق قبل نجواه ، وإن عجز عن تقديم الصدقة فليتطوع بفعل بعض الحسنات الأخرى ...، وهذا الحكم ، وإن كان في الأصل مطلوباً بالنسبة لرسول الله ﷺ ، إلا أنه سيبقى بعد الرسول مطلوباً كذلك ، حسب مقتضيات الأحوال، بالنسبة إلى قادة الأمة على قدر مراتبهم !!

﴿ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٦﴾ ﴾

إِلَى الَّذِينَ: هم المنافقون.

تَوَلَّوْا قَوْماً: اتخذوا اليهود أولياء.

غَضِبَ اللهُ عَلَيْهِم: هم اليهود.

جُنَّةً: وقاية لأنفسهم وأموالهم.

لقد كان منافقو المدينة منضمين إلى جماعة أهل الإسلام ، كما كانوا إلى جانب ذلك متواطئين مع اليهود أيضاً . وهكذا يكون دائماً موقف أولئك الذين لا يعتنقون الحق بالإخلاص والتجرد الكاملين ، وأمثال هؤلاء يتظاهرون بالولاء للجميع ، إلا أنهم في الحقيقة يكونون أوفياء لمصالحهم وحدها ، وإن كانوا يحلفون على كونهم أتباع الحق بكل محرجةٍ من الأيمان !!

﴿ لَن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٧﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ۖ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٨﴾ ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْأَذَلِّينَ ﴿٢٠﴾ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾ ﴾

لَن تُغْنِيَ: لن تدفع.

اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ: استولى وغلب على عقولهم.

يُحَادُّونَ: يعادون ويشاقون ويخالفون.

الأَذَلِّينَ: الزائدين في الذلة والهوان.

عَزِيزٌ: غالب على أعدائه غير مغلوب.

إن الإنسان النفعي عندما يعارض ويعرقل دعوة الحق ؛ يخيل إليه كأنه يحافظ بذلك على مصالحه وأسباب سعادته ، إلا أنه سيقف مبهوتاً في الآخرة ، يوم يرى أن الأشياء التي كان قد جعل منها موضع ثقته في الدنيا ، لم تعد تجدي عنه في ساعة القضاء الرهيبة هذه فتيلاً !

والرجل المنافق يتحذلق ويتكلم بملء شدقيه لكي يبرر موقفه ، حتى إنه يحلف بالأيمان الغليظة تأكيداً على صدقه وإخلاصه ، وهو إذْ يفعل كل ذلك يعتقد أنه "على شيء" وأنه قد هيّأ في صالحه أرضيّة واقعية صلبة يستند عليها ، ولكن انفجار القيامة حين يكتشف النقاب عن الحقائق ، فإنه سيدرك عندئذٍ أنها كانت كلمات زائفة من إلقاء الشيطان ، تلك التي ظل يرددها باعتبارها أدلة قاطعةً على براءته!!

﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾

بِرُوحٍ مِّنْهُ: بنور يقذفه في قلوبهم. أو بالقرآن.

إن الفوز والنجاح في هذا العالم لحزب الله وحده ، وما حزب الله ؟ أو ما أوصاف

رجاله ؟؟ إنهم أناس ثبت الإيمان في قلوبهم كأعظم حقيقةٍ ، وهم الذين بلغوا من ولائهم لله بحيث راحوا يتلقون من لدن ربهم فيضاً روحياً غامراً ، وهم الذين يكون ارتباطهم بالحقائق الإلهية عميقاً لدرجة أنه يصير عندهم هو الأساس للحب والبغض والصداقة والعداوة ، فهم أقرب ما يكونون ممَنْ هو قريب من الصدق الإلهي وأبعد ما يكون عمن هو بعيد عن الصدق الإلهي ، ولو كان من آبائهم أو ذوي قرباهم !!